الوريث

15

صيد العقرب

بقلم
مايكل يوسف

مقدمة لابد منها ...!!

وجب التنوية ان هذا العمل مؤلف خاص بى من ابداعى وأفكارى الشخصية ولا يمت للواقع بصلة وليس له علاقة من قريب او من بعيد بمؤلفات وكتابات أستاذنا الغالى وابينا الروحى المرحوم الدكتور / نبيل فاروق واى تقارب او تشابه فكرى فهو بالتاكيد من قبيل المصادفة ، وايضا من تربى على أبداعات أستاذنا الغالى لمدة تتجاوز خمسة وثلاثون عاماً بالتاكيد لابد أن يتاثر به .. وهذا شرف لا ادعية ،، بل اعتبر ان هذا العمل هو أهداء الى روح أستاذنا الغالى وابينا الروحى الدكتور / نبيل فاروق .. عرفانا منا بالجميل الذى يطوق اعناقنا نحن والالاف من الشباب بل الملايين فى الوطن العربى باكملة عاشت وتربت على المبادى والقيم التى زرعها بداخلنا أستاذنا الغالى .

ولكنها بالنسبة لنا ولالاف من الشباب العربى محاولة استكمال الحلم الجميل الذى كنا نعيشة بين ابداعاته وافكارة .

فشكرا لك استاذنا الغالى ..

شكرا نيابة عن نفسى ..

وشكرا نيابة عن اجيال كثيرة تربت وعاشت على ما زرعت بنا ..

مايكل يوسف

(ليان) هو شاب فى العقد الثالث من عمره مولود من اب مصرى وام إسرائيليه ، مهندس كمبيوتر ، ذكى و مقاتل لا يشق له غبار ، نشأ في داخل المجتمع الإسرائيلي ، لم يشعر يوما بالانتماء لهذا المجتمع الصهيوني العنصري ، أدرك لاحقا أن أبيه هو اسطورة من اساطير المخابرات فى العالم ، وانه بطل مصرى قومى قلما يجود الزمان بمثله ، وهنا أدرك حقيقة أصله وكينونته ، واختار أن يعود لمصريته وعروبته واسلامه ، حمل على عاتقه أن يحارب ذلك العدو الصهيوني من داخله ، ليكون هو العدو الاول له ، ويستحق عن جدارة لقب (الوريث) ....

سلسلة

الوريث

سلسلة الوريث للكاتب مايكل يوسف

مايكل يوسف

العدد الخامس عشر

صيد العقرب

سلسلة الوريث للكاتب مايكل يوسف

الفصل الأول

تعالت وتيرة الزحام فى ذلك الشارع الحيوي من مدينة (تل ابيب) ، كانت الساعة قد شارفت على الثامنة صباحا وهو الموعد الذى تبدأ فيه الحركة المعتادة للمارة والازدحام .

تحرك ذلك الشاب ذو الشعر الاشقر والذقن الخفيفة الصفراء واقترب من أحد المقاعد الشاغرة لمقهى صغير يتوسط ذلك الطريق .

كان يرتدى عيونات شمسية صغيرة تخفى اعينه ، وبمجرد أن جلس أشار للنادل الذي حضر مسرعا لتلبية أوامر .

طلب قدحا من القهوة وجلس باسترخاء وهو يتابع ساعة يده بين الحين والآخر .

كان يتابع المرة عن كثب ، ويتفحص كل المارة تقريبا ، ولكن انتظاره لم يدوم طويلا ، فجأة اقتربت منه فتاة فى منتصف العشرينيات ترتدي بدلة رسمية تدل على عملها فى العلاقات

العامة او الاستقبال فى احدى الشركات الكبرى أو متعددة الجنسيات .

وفجأة التوى كاحلها أثناء سيرها بحركة عفوية بسبب ذلك الحذاء ذو الكعب الرفيع والعالى الذى ترتدية ، فما كان منها الا ان حاولت أن تتمالك نفسها قبل أن تسقط ، واستندت على كتف ذلك الشاب ، الذى بدورة امسك يدها كى لا تسقط .

كان المشهد كله عفويا تماما لكل من يراه ، ولكنه لم يكن كذلك بالنسبة للشاب ، الذى انتهى بسرعة من قدح القهوة الذى أمامه بمجرد ان ذهبت الفتاة وهي تبتسم له شاكرة على مساعدتها ، وتحرك مسرعا في اتجاه مخالف للذي سارت فيه الفتاة بعد أن ترك عدد من (الشيكلات) على المنضدة ثمناً لقدح القهوة .

وبعد عدة خطوات فى شارع جانبى صغير ، فتح يده وأخرج قصاصة ورقية صغيرة كانت الفتاة قد دستها فى يده وهو

يساعدها ، وقراء التعليمات التى فيها ووضعها في جيب سترته وتحرك بهدوء .

كانت القصاصة تحوى موعد ومكان يتوجب عليه الذهاب الية ، تحرك مسرعا لان الموعد كان قد اقترب ، وبمجرد او وصل الى المكان حتى توقف لثواني يحاول أن يتأكد أن احداً لا يتبعه .

ودخل إلى ذلك المتجر ، كان متجر مختص في بيع معدات الصيد تديره سيدة عجوز على مشارف السبعين تقريبا من عمرها ، ما ان راته حتى أشارت له ان يدخل الى احدى الغرف الصغيرة فى نهاية المتجر ، وبالفعل قام بتنفيذ تعليماتها ، وتحرك الى تلك الغرفة ، واغلق بابها الصغير خلفه .

وما ان فعل هذا حتى سطعت اضاءة خافتة بسيطة بالكاد تكسر حاجز الظلام بالغرفة ، لتسمح للمتواجدين أن يدركوا المساحات و الأشياء الموجودة بالغرفة ولكن لا تسمح بأكثر من ذلك .

واستدار الى مصدر تلك الاضاءة ، كان مصباح صغير يتوسط منضدة فى منتصف الغرفة ، وتجلس على حافتها نفس الفتاة التى تعثرت ، والتى بدورها اشارت له ان يجلس في مقعد مقابل لها .

تحرك بهدوء وجلس على ذلك المقعد ، وبادرت الفتاة بالحديث قائلة وهى تمد يدها للمصافحة .

- كيف هى احوالك يا (ليان) ؟

مد (ليان) يدة فى المقابل وبعد أن تصافحا تابعت الفتاة حديثها .

- النقيب (منى الجويلى) مخابرات عامة مصرية
- اعلم انك الان فى فترة استقرار وهدوء حتى تهداء الأمور والصخب الحادث منذ المهمة السابقة ، ولكن حدثت امور جديدة ، وقد رأت الادارة أنك أجدر شخص للمهمة القادمة .

اعتدل (ليان) فى مجلسه وقد ظهر الاهتمام على ملامحة ، وتابعت هى حديثها .

- ما هى اخبار (اية) الان ؟

تحدث (ليان) لأول مرة منذ بداية اللقاء وقال

- بخير نشكر الله ، تحسنت تماما ، واستعادت القدرة على التحكم فى يدها بشكل كامل وتعافت تقريبا من كل الاصابات .

- جيد ، لأننا فى حاجة اليها ايضا فى تلك المهمة

قالتها الرائد (منى) وتابعت دون أن تنتظر منه ان يتحدث او يقاطعها ، وهي تخرج هاتفها المحمول من جيب سترتها ، وتضعه نصب عينيه .

- بالطبع تعلم (الخط الازرق) ؟

قام بهز راسه بعلامة الإيجاب دون أن ينطق بكلمة واحدة فتابعت هى .

- حسنا كما تعلم هي منطقة آمنة بين الحدود الإسرائيلية اللبنانية مساحتها تقريبا تبلغ المائة وعشرون كيلو متر ، قامت الأمم المتحدة بانتداب قوات إليها متعددة الجنسيات ، تقريبا من جميع أنحاء العالم ، وتتغير باستمرار كافة عناصرها ، الا خمس ضباط فقط ، هم الأعلى رتبة وايضا هم اساس القوات متعددة الجنسيات والقادة لها فى تلك النقطة .
- ولكن قد لوحظ فى الفترة الاخيرة ان هناك تسريب في المعلومات الأمنية التي تخص الجانب اللبناني الى الجانب الاسرائيلي ، وليس هذا فحسب ، ولكن تم استهداف أكثر من نقطة فى الجنوب اللبنانى ، تعتبر مناطق تمركز و نقاط حصينة للمقاومة والجيش اللبناني

.

- ولا يمكن أبدا معرفة تلك الأماكن بتلك الدقة من الجانب الاسرائيلى الا عن طريق جاسوس داخل الأراضي اللبنانية نفسها او بداخل (الخط الازرق) نفسه ..

تراجعت فى مقعدها أكثر وتابعت

- وبما أن الجانب اللبناني نفسه قام بتغيير جميع أفراد القوات المتواجدة في تلك التمركزات لثلاث مرات متتالية مع تسريب معلومات كاذبة مختلفة لمحاولة الإيقاع باى جاسوس محتمل لديهم ، ولكن كل المحاولات بأت بالفشل ، وبالفعل تأكدوا تماما من عدم وجود عميل او جاسوس داخل أراضيهم ، فلم يتبقى الا (الخط الازرق) ، وبما أن كل الجنود هم من جنسيات مختلفة تماما ويتم تغييرهم عشوائيا ولا يبقى أحد لمدة أكثر من ثلاثة أسابيع داخل (الخط الازرق) وهى

كامل مدة خدمته بذلك القطاع ، فلم يتبقى لنا الا الخمسة ضباط كبار المستدمين .

كان (ليان) صامتا تماما يستمع الى كل كلمة تنطقها الرائد (منى) ولكن صمته لم يدوم طويلا فقاطعها متحدثا .

- ولكن هناك سؤال يجول في رأسي ؟

اشارت له ان يتكلم ، فتابع

- ما علاقة المخابرات المصرية بما يحدث هناك في داخل (الخط الازرق) هذا الشأن أعتقد لا يخص مصر بأى شكل .

ابتسمت ومالت للامام وتابعت .

- لقد توقع الخبراء هذا السؤال منك ، حسنا سوف اخبرك ، منذ سنوات تقوم المخابرات المصرية والقوات المسلحة بمساعدة الجيش النظامى اللبناني في حربه ضد العدو الصهيونى ، وليس هذا فحسب ، بل ايضا هناك

بعض مقاتلينا يقومون بعمليات مشتركة مع رجال الجيش اللبنانى وبعضها داخل الأراضي المحتلة .

وصمتت قليلا ، فنظر لها (ليان) بتفحص وقال .

- اعتقد ان هناك سبب آخر ، بخلاف هذا السبب .

عادت الابتسامة مرة اخرى الى وجهها وتحولت الى ضحكة خرجت من فمها وحاولت ان تكتمها قدر المستطاع واخيرا قالت.

- أنت ذكي بالفعل كما أخبروني عنك ، يبدوا ان الخبراء عندهم حق تماما فى اختيارك لمثل هذه المهمة .

كانت تنقر باصابعها على الطاولة وهي تتحدث ، وكان هو يراقبها فى هدوء محتفظا بابتسامته ، فتوقفت عن النقر و نهضت من مقعدها و ابتعدت عدة خطوات واولته ظهرها وتابعت .

- بالفعل هناك سبب آخر .

- الخمس ضباط الدائمين فى (الخط الأخضر) هم بالطبع من جنسيات مختلفة ، ويمكن أيضا لا تجمعهم قارة واحدة ، ولكن هناك سبب كبير لتدخل المخابرات المصرية .

صمتت لعدة دقائق وتابعت .

- أحد هؤلاء الضباط هو ضابط بالجيش المصرى يا (ليان) ..

قالتها وران صمت رهيب ..

صمت قاتل

الفصل الثانى

- اللقاء تم الان .

قالها (مراد) وهو يقف أمام مكتب السيد مدير المخابرات العامة المصرية ، الذى اعتدل في مقعده مهتما بتلك الأخبار وقال .

- هل رجالنا يتابعون اللقاء ويقومون بحمايتهم ؟

اشار (مراد) براسة علامة الإيجاب وقال .

- نعم يا سيدى

- كل رجالنا في موقعهم الان ، المتابعة والدراسة وايضا التأمين ، ورجال التدخل فى حالة حدوث اى خطا .

تراجع السيد مدير المخابرات فى مقعده وهو يتنهد قائلا

- حسنا .. حسنا

كان من المفترض أن يتحرك (مراد) منصرفا بعد ان اخبر السيد مدير المخابرات بتلك المعلومات التي كان قد طلب اخباره بها مباشرة بمجرد حدوثها ، لكنه تأخر قليلا ، فأدرك السيد مدير المخابرات أن هنا ما يود ان يقوله ، فأشار له بالجلوس والتحدث.

- هات ما عندك يا (مراد)

تقدم مراد وجلس فى المقعد قبالة مكتب السيد مدير المخابرات وقال وهو ينظر أرضا .

- عذرا سيدى .. ولكن اليس كان من الافضل ارسال احد رجالنا من الادارة ، بدلا من الاستعانة بطرف خارجي .

تنهد السيد المدير العام ، وقال

- هذا ليس قرار شخصي يا (مراد) بل هو قرار من الخبراء وبعد عدة اجتماعات ، ومناقشات دامت أكثر من اثنين وسبعين ساعة .

- كان اختيار (ليان) لهذه المهم هو افضل الحلول المقترحة لعدة أسباب .
- أولها ملامحه ولغته وشخصيته فهو اسرائيلى تماما حتى النخاع ، ثانيا انه ليس من أبناء الجهاز ، وثالثا لن يتوقع العدو الصهيونى ابدا تلك الخطة .

وصمت قليلا ثم تابع قائلا

- واهم نقطة انه غير معلوم تماما لاى من القادة الخمسة ، وايضا لسيادة العقيد (ابو العزم) القائد المصرى من ضمن قادة القوات متعددة الجنسيات .

كان (مراد) يستمع له ، حتى وصل الى تلك النقطة فاتسعت عيناه وقال

- وهل سيادة العقيد من ضمن المشتبهة فيهم ؟؟

هز سيادة المدير العام راسه بالنفي قائلا

- لا .. لا .. ابدا

- ولكن حتى يكون التحقيق حيادى بالكامل فوضعنا كل الاحتمالات ، وتم التخطيط والتنسيق مع الجانب اللبناني بالكامل ، دون علم اي جهه او احد ، والمكتب الفنى بقيادة السيد (خيرى) قام بالفعل بصنع هوية عسكرية إسرائيلية جديدة (لليان) بشخصية اخرى باعتباره أحد الجنود المشاركين فى قوات حفظ السلام بالفعل .

توقف (مراد) عند تلك النقطة وغمغم متسائلا

- وكيف هذا ؟
- الن تكتشف إسرائيل ما حدث ؟

ابتسم السيد مدير المخابرات وتابع قائلا

- لا تقلق ، فبالفعل يوجد مجند اسرائيلي بنفس البيانات وهو متوجه غدا مساءا الى لبنان للالتحاق بقوات حفظ السلام هناك ، ولكن اشقائنا اللبنانيين يأتي دورهم فى

احتجازه فى مكان سرى تماما حتى عودة (ليان) من مهمته وانتهاء الأمر تماما .

- وسوف يتم تبرير ذلك لاحقا انها احدى الميليشيات المنفصلة التى تكره العدو الصهيوني قامت باختطاف المجند وبالطبع الحكومة اللبنانية سوف تنكر تماما اى علاقة بما حدث للمجند او من الذي انتحل صفته أو احتل موقعه داخل (الخط الازرق) .
- وبالطبع يجب أن تتم المهمة فى مدة أقصاها ثمانية وأربعين ساعة على الاكثر ، لانه طبقا للبروتوكول المعمول به في دولة الاحتلال يجب ان يرسل المجند الملتحق بقوات خارجية رسالة إلى القيادة الإسرائيلية فى مدة أقصاها ثمانية وأربعين ساعة فقط من وصوله الى نقطة الخدمة التابعة لقوات حفظ السلام .

- وبذلك تصبح أقصى مدة المهمة هي الثمانية وأربعين ساعة فقط منذ أن تطأ قدم (ليان) ارض (الخط الازرق) ، والان اذهب وتابع الموقف جيدا واخبرني بكل المستجدات اولا باول .

تحرك (مراد) مباشرة لتنفيذ أوامر السيد مدير المخابرات العامة ، تاركا الأخير يفكر فى الساعات القادمة وما قد يحدث بها ..

****

- هذه هي الأوراق الخاصة بمهمتك هناك ، ومنذ تلك اللحظة التي تطأ قدماك الأراضي اللبنانية فستكون (راف توراى " جيدون اليعازر ") او العريف (جيدون اليعازر) مجند بجيش الدفاع وملحق بقوات حفظ السلام لمدة عام .

اعطته الأوراق ، أخذ يتفحصها بعين خبيرة ، كانت الأوراق حقيقة تماما ، اخرج هاتفة وقام بفتح الاعدادات الخاصة بالاتصال عن قرب ومرر الهوية العسكرية التي اعطتها له (منى) على الهاتف فظهرت كامل بياناتها على شاشة الهاتف وكانت كلها مطابقة للهوية نفسها بين يديه .

فابتسم للإتقان الذى تم تزييف الأوراق به برغم صعوبة الحصول على الخامات وايضا التشفير الإلكتروني للهوية التي تدعي اسرائيل استحالة كسرة او نسخة ، وقتها ادرك ان المجتمع الإسرائيلي ما هو عبارة عن مجموعة من الأكاذيب والبروباجندا الاعلانية فقط ولكن فى حقيقته هو مجتمع هش مضمحل غير متماسك او مترابط .

وضع الأوراق في حقيبة ظهرة ، وسألها

- متى التحرك ؟

نظرت فى ساعة يدها واجابت

- بعد ٢٥ دقيقة من الآن سيتحرك مركب صغير ذو محرك من شاطئ (تل ابيب) وبالاخص من الميناء السياحي ، سيسير موازيا لشاطئ البحر الأبيض حتى يصل الى أطراف الحدود بين لبنان واسرائيل ، وهناك سوف تأخذ من القارب ملابس خاصة بالسباحة وتعبر من المياه حتى مدينة (الناقورة) اللبنانية ، وبمجرد أن تصل سوف تجد ضابط من المخابرات اللبنانية في انتظارك وسوف يذهب بك الى أحد المنازل الأمنة وتحصل على ملابس الجندي الاسرائيلي الحقيقى ومتعلقاته الشخصية بالكامل ، وتواصل الطريق الى الكتيبة الحدودية الخاصة بقوات حفظ السلام ، كل هذا خلال ثمانية ساعات تقريبا من الآن .

وصمتت قليلا ، ثم تابعت .

- كل هذا يعتبر الجزء الأسهل من العملية .

ارتفع حاجباه في دهشة وسألها .

- كل هذا الاسهل ؟

- وما الأصعب إذا ؟

اذدردت لعابها وتابعت

- بمجرد أن تصل ، ليس امامك الا ثمانية وأربعين ساعة فقط لتنهي مهمتك ، وتستطيع ان تعرف شخصية الجاسوس وايضا الوسائل التي يستخدمها .

- وبعدها يجب ان تغادر تماما .

- هناك خطر على حياتك بعد مرور ثمانية وأربعون ساعة وايضا خطر على المهمة كلها وقد تتعرض للفشل وانكشاف الأمر .

أنهت تلك الجملة وظلت صامته ، فسألها وهو يتحرك منصرفا .

- وبالنسبة للضابط المصري ؟

- ما اسمه ؟

أجابته وهي تبتسم فى اعجاب .

- العقيد (محمد أبو العزم) والشهرة (ابو العزم) فقط ، ولا يوجد شخص من الخمسة خارج الشبهات أو محل ثقة ، وهو ما سوف تكتشفه انت وتحدد شخصية الجاسوس .

أشار لها بيده من خلف ظهرة مودعا لانة كان بالفعل قد ابتعد وخرج من باب المكان الى الطريق ، وهو ينظر في ساعة يده التي كانت تشير الى انه امامه حوالى اثنين وعشرين دقيقة فقط ليصل الى المرفأ السياحي .

وانطلق مسرعا إلى مهمته الجديدة ..

والمستحيلة ..

الفصل الثالث

انطلق المركب الصغير ذا المحرك الواحد بسرعة كبيرة حتى تكاد تظن يطير على سطح المياه من سرعته ، وكان على متنه (ليان) وقائدة الذي لم يتبادل كلمة واحدة مع (ليان) منذ أن ركب المركب إلا عبارة التعارف المتفق عليها والتي اعطتها (منى) له قبل ان ينصرف فى قصاصة صغيرة وتحتوي ايضا على عبارات التعارف فى الجانب اللبناني حينما يصل ، وبالطبع يجب ان يحفظها عن ظهر قلب ويتخلص منها حرقا سريعا وبالفعل ، كان قد تخلص منها قبل ان يستقل المركب ، كان ممسكا بهاتفه المحمول ، ومن خلال احدى التطبيقات المشفرة النهايات تماما كان يراسل (اية) ويخبرها بكل التفاصيل ، حتى تدرك وضعه تماما ، وتكون على دراية أين هو وتطمئن عليه .

وايضا لتكون على أهبة الإستعداد فى حالة ان حدث امر طارئ يستدعي أن تشاركه المهمة ، وبمجرد أن انتهى من مراسلتها ، حتى اغلق الهاتف تماما حتى لا يتم رصده أثناء عبور المنطقة الحدودية ، وقام بوضعه مع الأوراق الخاصة بالمهمة فى احدى الحافظات البلاستيكية محكمة الاغلاق والخاصة بحفظ الأغراض تحت الماء وحتى لفترات طويلة أعماق سحيقة ، وقام بأحكام اغلاقه ، وشرع فى ارتداء ملابس السباحة التى كانت متواجدة على ظهر المركب ولم تمضى نصف ساعة تقريبا اخرى حتى توقف المركب عن الحركة ، وأشار السائق الى (ليان) إشارة بيدة انه حان الوقت وهذا هو المكان ، وبالفعل لم يتردد (ليان) للحظة ، وقفز من على ظهر المركب بعد ان قام بتثبيت الحافظة البلاستيكية فى الحزام الخاص بملابس السباحة ، وانطلق يسبح بسرعة تجاه نقطة اللقاء ، واجتاز الحدود وظل يسبح لاكثر من اربعون دقيقة كاملة ، وتوقف ينظر فى ساعة

يدة المضادة للماء وضغط على شاشتها فاصبحت بوصلة للاتجاهات ، ونظر باتجاه الشاطئ حيث أشار مؤشر البوصلة ، وتحرك سابحا حتى وصل الى الشاطئ .

وبمجرد ان وصل الى تلك النقطة النائية والخالية من البشر ، حتى ارتمى أرضا يلهث وبحاول ان يلتقط انفاسه التى تهدجت من كثرة السباحة والمجهود العضلي المبذول ، كان قد أغلق عينيه تماما محاولا الاسترخاء وصدره يعلو ويهبط فى سرعة لالتقاط انفاسه .

وفجأة سمع حركة خلفه ، حاول الاعتدال ، ولكن فوجئ بفوة مسدس مصوبة إلى رأسه ومن خلفها ضابط بزى عسكرى خاص بالقوات اللبنانية وهو يصرخ به .

الا يتحرك من مكانه

ابدا ..

******

تجمد (ليان) فى مكانه وظل ثابتا تماما ، كان الظلام قد بدأ يحل ولم يتبن بالفعل هل الضابط المواجهة له بمفرده أم هو على رأس قوة .

كان عقله يعمل سريعا ، ويفكر فى كل الاحتمالات ، وفجأة جال بخاطره أن يقول العبارات السرية المتفق عليها ، فقال بصوت خفيض وباللغة العربية .

- من الصعب الإمساك بذئب منفرد بعيدا عن ديارة

تعالى صوت ضحكة حاول صاحبها أن يكتمها فى الظلام الذى بدأ يغلف المكان وهو يقول.

- يمكن ذلك لو كان قد أتى طواعية .

أرخى بعد تلك الجملة الضابط اللبناني سلاحه واقترب من (ليان) الذي ارخى اعصابه هو الآخر ، ربط الضابط على كتف (ليان) وهو يقول .

- مرحب خيى ، لقد وصلت مبكرا حوالي ساعة عن الموعد المقدر ، لذلك لم اتوقع ان تكون انت .

وتابع وهو يمد له يده مصافحاً .

- اخيك الضابط (نقولا) من قوات حرس الحدود اللبنانية ، وانا هون بناء على الاتفاق والخطة الموضوعة بين المخابرات اللبنانية والمخابرات المصرية و لتوصيلك الى الكتيبة الخاصة بقوات حفظ السلام فى الخط الازرق ، وايضا لمتابعة سير العملية عن قرب حتى أن تتم باذن الله ، واعود بك الى طريق العودة مرة اخرى ، وبعدها اطلق صراح ذلك الجندي الصهيوني المحتجز .

مد (ليان) يده مصافحا وبعد أن تم التعارف سريعا ، سار الاثنين متجاورين حتى وصلا الى احدى سيارات الدفع الرباعي الخاصة بقوات حرس الحدود اللبنانية ، وبمجرد أن استقر بها حتى انطلق الضابط (نقولا) ينهب الأرض بين العديد من

الصخور والهضاب الصغيرة محاولا أن يتفادى الطرق العامة والمساحات المكشوفة قدر الإمكان .

حتى توقف (نقولا) عند سفح إحدى المنحدرات المكشوفة وأشار الى (ليان) أن يتبعه ، وتحرك وهو يحمل نظارة مقربة مزودة بعدسات للاشعة دون الحمراء وايضا حاسوب مدمج لتقريب الصورة بطريقة رقمية حديثة ، واقترب من سفح المنحدر واستلقى أرضا وتبعة (ليان) ، كان الاثنان قد انبطحا أرضا تماما ووضع (نقولا) النظارة على عينيه وأخذ يتفحص المنطقة بالكامل ، حتى توقف عند نقطة بعينها ، واعطى النظارة الى (ليان) وهو يشير له إلى تلك النقطة ، اخذ (ليان) النظارة ونظر فيها الى تلك النقطة ، كان هناك بعض الرجال حاملى الاسلحة ، ويملون المنطقة بالكامل ولكن لا يرتدون اى ازياء عسكرية أو نظامية ، وهنا اقترب (نقولا) من (ليان) وتحدث هامسا .

- تلك المنطقة خاضعة تحت سيطرة قوات (حزب الله) ، والتعليمات التى تلقيتها ان لا نثق فى احد ابدا او نخبر احد بطبيعة المهمة الموكلة إليك ، فبالتالى يجب أن نجتاز تلك المنطقة دون ان يشعر بنا اى من هؤلاء الرجال .

هز (ليان) رأسه متفهما ، وبالفعل تراجع الاثنين الى السيارة ذات الدفع الرباعي ، وشرعا في تغيير ملابسهم ، وارتديا ملابس مقاربة لملابس رجال (حزب الله) ووضع كل اغراضهم وملابسهم الاخرى فى حقيبة ظهر لكل منهما ، وتحركا ببطء على وصلا ذلك المنحدر الهابط ، واخذا يتمسكا بالصخور هابطين حتى وصلا إلى أرض شبه مستوية ، فقاما بالاستلقاء ارضا ، وقام (نقولا) بتحديد الاتجاهات بالضبط وأشار الى (ليان) ان يتحرك خلفه وهم مستلقيان تماما ، كان الامر صعب جدا ومرهق ، بسبب طبيعة الأرض فى تلك

المنطقة فهي تعتبر مكشوفة تماما بحيث لا تسمح لهم بالاعتدال أو الركض وايضا الأرض غير مستوية مليئة بالصخور والحجارة الصغيرة التى تحول العملية الى شبه مستحيلة .

ومضت تقريبا حوالى الساعة وهما على نفس الوضع وطريقة التحرك ، حتى لاحت لهم فى الأفق أضواء تتحرك وأصوات تقترب ، فاشار (نقولا) الى (ليان) بقبضة يده المغلقة ، اشارة الى الثبات والهدوء ، وبالفعل تجمد الاثنان فى مكانهم وكأنهم جثث لا تتحرك ، كان من الواضح انها دورية متحركة قادمة فى اتجاههم للفحص ، كان الاثنان قد صارا اقري الى جثتين هامدتين تماما ، ولكن كانت الاقدام تقترب من موقعهم اكثر واكثر .

حتى أصبح لا مفر بالفعل من المواجهة .

وبالفعل وبدون اي تخطيط او اتفاق ، تحرك الاثنين معا ، و فى تناغم وسرعة رهيبة ، تحرك الاثنين وقاما من رقادهم أرضا

واتخذا وضع قتالي شهير لرياضة الكونغ فو ، كانت القوة عبارة عن خمسة رجال مدججين بأسلحة خفيفة وكشافات لتنير لهم الطريق ، وظهر أمامهم بغتى (ليان) و (نقولا) اللذان كانا يستغلان عامل المفاجأة ..

وبدأت حرب ..

حرب قوامها رجلان بدون اسلحة خوفا من صوت إطلاق النار ضد خمسة مدججين بكامل أسلحتهم ..

ونشبت حرب ..

دموية ..

الفصل الرابع

للوهلة الاولى قد تعتقد أن المعركة محسومة بالتأكيد للطرف الاخر لاسباب كثيرة ، منها العدد والعتاد ، طبيعة أرض المعركة نفسها ، رجال (حزب الله) ايضا هم مدربين ويعتبروا مقاتلين لا يشق لهم غبار في تلك الساحة .

ولكن هناك عامل المفاجأة ..

وبالفعل كان له نصيب الأسد فى تلك المعركة ، كانت البداية حينما قفز (ليان) منتصبا من خلف آخر فرد من المجموعة المسلحة ، ودون أدنى صوت تقريبا أمسك برقبته و رأسه بكلتا يدية وادارها بعنف لتصدر منهم تكة ليسقط بعدها جثة هامدة ، ولم يترك له فرصة للسقوط ، بل تلقاه على ذراعية بهدوء ووضعه ارضا حتى لا يتسبب سقوطة فى تنبيه الآخرين ، ونجح بالفعل ، وتقدم نحو الذي يليه وفى نفس التوقيت كان (نقولا)

يتقدم من مقاتل آخر ، ولكن فجاة تحطم فرع شجرة جاف أسفل قدمه مما تسبب في لفت أنظار الجميع تجاهه .

ودون اي تفكير ، تحرك (ليان) و (نقولا) معا فى تناسق تام ، كانت معركة قصيرة وسريعة ، بدأها (نقولا) بضربة بقدمه اليمنى في معدة اول المقاتلين ، ودون أن ينتظر ما قد يحدث كان يده اليسرى تضرب فك مقاتل الآخر وتحطمة ، وفى تلك الاثناء كان (ليان) قد قفز طائرا باحدى حركات رياضة الكونغ فو الشهيرة لترتطم قدمه اليمنى برأس المقاتل الثالث والقتة ارضا دون حراك ، وبمجرد أن لامست قدماه الأرض ، حتى دار على عقبيه موجها ضربة أخرى إلى يد المقاتل الاخير الباقى التى تحمل السلاح ، ولكن نجح الاخير ان يخرج من عامل المفاجأة سريعا ونجح فى تفادى الضربة في اللحظة الاخيرة ، واعتدل موجها سلاحه تجاه (ليان) واطلاق وابل من النيران ، ولكن

(ليان) بمجرد ان ادرك انه تفادى الضربة ، تحرك سريعا وقفز جانبا خلف احدى الصخور القريبة بعيدا عن مرمى النيران .

ولكن صوت الطلقات شق عنان السماء فى تلك المنطقة المنخفضة بين عدة سفوح جبلية مما جعلها كالقنابل ولم تمضى ثوانى قليلة حتى انطلقت صافرات الإنذار فى كل مكان فى ذلك الشريط الحدودى .

وفى تلك اللحظة كان (نقولا) قد اختطف سلاح أحد المقاتلين الذين قد نجح فى القضاء عليهم ، وأطلق النيران تجاه المقاتل المتبقى ، الذى أصيب بالفعل من النيران ، ولكنه نجح فى الهروب والتواري خلف احدي التباب الرملية القريبة .

وتحرك (نقولا) إلى مكان الصخور التى خلفها (ليان) وما أن رآه حتى سالة

- هل انت بخير ؟؟

إجابة ليان

- نعم ، ولكن ماذا نفعل الان بعد ان انطلقت صافرات الإنذار .

اشار (نقولا) بيده اليسرى تجاه أخدود بين بعض الجبال وهو يقول

- يجب ان تذهب انت بسرعة ، وانا سوف اقوم بتغطية تحركك ، وبمجرد أن تعبر ذلك الأخدود ستجد هناك سيارة دفع رباعى تابعة لقوات حرس الحدود اللبنانية ، وبها الضابط (مجد الدين) خذ اعطه هذة وهو سوف يصل بك الى مبتغاك .

قالها وهو ينزع عن عنقه الشارة المعدنية التعريفية الخاصة به ويضعها في يد (ليان) ، الذى أدرك تماما ما يعنيه هذا ، انه يضحى بحياته لكى تنجح الخطة ، حاول ان يعترض او يخبرة انه معه ، ولكن نظرته الصارمة واصراره منعاه .

مد يده وامسك بساعد (نقولا) وضغط عليه ليشد من أزره ، وانطلق مسرعا حيث أشار له .

وفى نفس اللحظة ، انطلقت النيران من كل صوب واتجاة حيث الصخرة التى كان يحتمون بها ، اخذ (نقولا) باقى أسلحة المقاتلين الصرعى واحتمى خلف أحد الصخور البارزة وبادل إطلاق النيران للتغطية على هروب (ليان) .

كانت اصوات الطلقات متواصلة خلف (ليان) الذي بالفعل نجح فى الوصول إلى ذلك الأخدود ، كان يتسلق الصخور بخفة وسرعة ورشاقة .

ولم تمضي عشرة دقائق حتى كان قد وصل الى اعلى نقطة فى الأخدود ، وانطلقت كشافات مبهرة تضرب عينية وكادت ان تغشى بصره ، فرفع يده امام وجه فى حركة تلقائية ، وتوقف تماما عن الحركة .

- انبطح ارضا وارفع زراعيك عاليا .

انطلقت تلك الجملة باللغة العربية من إمامة ، فامتثل للتعليمات وهبط ارضا على ركبتيه وهو يرفع ذراعية عاليا ، وكان يمسك بيده اليمنى السلسلة التعريفية ل(نقولا) ، حتى شعر بيد تجذبها من يدة ونفس الصوت يقول .

- رباه إنها الخاصة (بنقولا) !! اين هو ؟؟

اجب (ليان) وهو مغمض العينين ، تفاديا للإضاءة المبهرة المسلطة على وجهه .

- لقد رفض المجيء ، وظل هو يحمي المؤخرة ومنع المقاتلين من التقدم خلفى ، حتى لا تفشل المهمة

قاطعة الصوت

- هل اطلاق النار هذا الذي نسمعه بسببه ؟؟

هز (ليان) راسه بالايجاب ، كان فى تلك الأثناء قد توقف اطلاق النيران تماما ، مما يدل على نجاح مقاتلي (حزب الله) فى القضاء على (نقولا) او القاء القبض عليه .

تقدم الضابط من (ليان) وأمسك بيده ليساعدة على النهوض ، ومد يدة مصافحا وهو يقول

- الضابط (مجد الدين) من قوات حرس الحدود اللبنانية.

صافحة (ليان) قائلا

- لقد اخبرنى عنك (نقولا) ، واخبرني ايضا انك ستقوم بكل المطلوب .

هز (مجد الدين) راسه بالايجاب وظهر التأثر على وجهه عندما تذكر صديقة (نقولا) ، ولكنه أشار إلى (ليان) ليتبعه .

وركب الاثنان السيارة الدفع الرباعي وانطلق يقودها (مجد الدين) ، بينما قام (ليان) بتغيير ملابسه للمرة الاخيرة ، وارتدى ملابس جنود قوات حفظ السلام المميزة ، ولكن بشعار قوات الاحتلال على منطقة الكتف .

وبمجرد أن انتهى حتى نظر له (مجد الدين) وقال

- نحن الآن بصدد عبور البوابة الأمنية الخاصة بمنطقة قوات حفظ السلام ، ومنذ تلك اللحظة انت (راف توراى " جيدون اليعازر ") ، وانا الضابط المسئول عن توصيلك من الميناء الجوى العسكرى وحتى منطقة الخدمة الخاصة بك .

هز (ليان) راسه بعلامة التفهم .

وبالفعل كانا قد وصلا الى البوابة الأمنية ، التى قد قامت بفحص أوراق السيارة وقائدها ، وايضا الاوراق والهوية الخاصة بـ(ليان) ، وأشار ضابط الأمن المسؤول إلى الضابط (مجد الدين) بالانصراف ، والى (ليان) بالدخول إلى الداخل ، وبالفعل انطلق (مجد الدين) بالسيارة مبتعدا ، وتحرك جندى تابع للبوابة الأمنية مصطحبا (ليان) الى داخل المعسكر والمنطقة الخاصة بقوات حفظ السلام .

وتقدم الاثنين من مكتب خاص باستقبال الضباط والمجندين الجدد ، وبعد أن طرق المجند المصاحب (لليان) الباب وسمح له بالدخول وقف الاثنين أمام مكتب الضابط المختص وقدم الجندى له أوراق (ليان) أو الأوراق الخاصة بالعريف (جيدون اليعازر) ، والذي امسكها وأخذ يتفحصها جيدا ..

كان (ليان) يقف ثابتا بالوقفة العسكرية المعتادة ، منظرا ما سوف يمليه عليه الضابط المسئول من مهام أو تعليمات .

ولكن فجأة تغيرت ملامح الضابط واحمر وجهه ، وصرخ بنبرة حادة قائلا .

- انت لست (جيدون اليعازر) ...!!
- انا اعرف (جيدون اليعازر) ..
- من انت ؟؟؟

هنا تعالت ضربات قلب (ليان) حتى كاد أن يسمعها المجند المصاحب وايضا الضابط المسئول ..

ولأول مرة منذ ان دخل الى ذلك المكتب راى (ليان) الشارة التى تزين كتف الضابط المسئول ..

شارة زرقاء قاتمة ..

شارة خاصة ومميزة ..

شارة تشبه التى تزين كتفه ..

شارة جنود الاحتلال ..

يتبع ...

مايكل يوسف.. مهندس كمبيوتر، متخصص شبكات.. مواليد القاهرة عام ١٩٨٠ وحاليا مقيم بالإسكندرية. كاتب روائي صدر له العديد من الأعمال السابقة. السوار (مجموعة قصصية)، التركة (رواية) وصدرت منهما عدة طبعات و يوما ما في أغسطس (رواية) من دار نشر ببلومانيا. وايضا رواية (أنا) والتي حققت أعلى المبيعات في معرض القاهرة الدولي الكتاب لعام 2023 والتابعة لدار الزيات للنشر والتوزيع . وشارك في العديد من المسابقات للقصه القصيرة مثل (نقطة ومن أول الشغف) وأيضا مسابقة (لا مستحيلا) للعام الحالي. يمتاز أسلوبه بالغموض، والنهايات غير المتوقعة، وبرع في سرد القصص القصيرة، قال عنه فنان الكاريكاتير العالمي العم تاج: مايكل يوسف.. مهندس الكومبيوتر الذي حوَّل الحروف العربية إلى شُعاع تنوير وأدب، وإبداع قصصي بأسلوب مدهش، انتظروا "يوسف إدريس" جديد.

الكاتب مايكل يوسف